البحث الكيفي في العلاقات العامة

دراسة تحليلية لبحوث العلاقات العامة في العراق للمدة من ١٩٨٩ الى ٢٠١٦

أ.م.د. سالم جاسم محمد العزاوي

كلية الإعلام - جامعة بغداد

المستخلص

في خضم التطورات التي شهدتها مسيرة البحث العلمي بشكل عام والعلوم الانسانية على وجه الخصوص وما رافق ذلك من تغيرات في الرؤى والسياسات البحثية الناجمة عن حاجة تلك العلوم الى اتباع الاساليب الكيفية في تناول كثير من الموضوعات او المشكلات التي يتطلب حلها الحصول على معلومات نوعية لا يمكن توفيرها عن طريق اللجوء للبحث الكمي . فقد برز اتجاه جديد لدى الكثير من الباحثين في قضايا العلاقات العامة يؤمن بضرورة اللجوء الى طرائق البحث الكيفي من خلال وضع اسس علمية وتصنيفات منهجية يتم على اساسها توظيف هذه الطرائق وتحديد طبيعة الموضوعات التي تُطبق فيها وصولا الى نتائج تتصف بالمرونة والعمق والدقة ناتجة عن دراسة الموضوعات في بيئتها وباساليب تفاعلية .

ولذلك فقد جاءت هذه الدراسة للتعرف على مدى توظيف البحث الكيفي في دراسات العلاقات العامة في العراق عن طريق اخضاع جميع بحوث العلاقات العامة للتحليل (رسائل الماجستير واطاريح الدكتوراه من عام ١٩٨٩ الى ٢٠١٦ ، فضلا عن البحوث المنشورة في مجلة الباحث الإعلامي وهي المجلة العراقية الوحيدة المعنية بالبحوث الاعلامية وتصدر عن كلية الإعلام جامعة بغداد) .

وتبين من النتائج ان الباحثين في مجال العلاقات العامة في العراق لم يولوا اهتماما لاساليب البحث الكيفي والدليل على ذلك ان ١,٢٪ فقط من بحوث العلاقات العامة استخدمت الطرق الكيفية ، كذلك نجد ميلا واضحا الى استخدام ادوات كمية في جمع البيانات في اغلب بحوث العلاقات العامة وهذا ينعكس بدوره على نوع النتائج التي يتم التوصل اليها . فضلا عن اعتماد معظم بحوث العلاقات العامة على دراسة المبحوثين بطريقة المعاينة او نظام الحصر الشامل ، بينما لم نجد سوى ثلث البحوث تقريبا اعتمدت على طريقة تحليل المحتوى . واخيرا لم تعتمد الغالبية العظمى من بحوث العلاقات العامة على نظرية علمية على الرغم من انها قائمة على فكرة الاستنباط .

drsalimjasim@comc.uobaghdad.edu.iq

Qualitative Research in Public Relations

AnAnalyticalStudyofPublicRelations›ResearchesinIraqfrom1989to2016

Ass. Prof.: Salim Jasim Muhammed, Ph.D.

University of Baghdad

College of Media

In the mist of developments in the course of scientific research in general and humanities in particular and the accompanying changes in the visions and policies inspired by the need for these sciences to follow the qualitative methods in dealing with many of the topics or problems that require for their solution to obtain qualitative information which can be provided by resorting to quantitative research. Therefore, a new trend has emerged in many public relations› researchers who believe that qualitative research methods should be used by establishing scientific foundations and methodological classification based on the use of these methods and determining the nature of the subjects applied in them to reach results that are characterized by flexibility, depth and accuracy.

مقدمة

يعد البحث الكيفي فلسفة وطريقة توفر مرونة وتفاعلية عالية في عملية البحث العلمي ، فضلا عن دقة في النتائج متأتية من دراسة المشكلة أو الظاهرة في سياقها الطبيعي والاعتماد على المبحوثين في الحصول على البيانات وتفسيرها ، على عكس البحوث الكمية التي تُكمم نتائجها على شكل أرقام تعطي نتائج تتصف بالجمود وعدم المقدرة على معرفة الأسباب والدوافع التي تقف وراء الظاهرة أو الموضوع محل الدراسة .

وان العلاقات العامة في مقدمة الاختصاصات الأكاديمية والممارسات الميدانية حاجة للاستعانة بالبحث الكيفي والاستفادة من خصائصه الفريدة في أثناء دراسة الموضوعات المتعلقة بعملها وحل مشكلاتها لكونها علماً وفناً يسعى إلى المحافظة على تفاهم متبادل بين المؤسسة وجماهيرها ، وهذا يؤدي إلى تعامل ممارس العلاقات العامة مع جماهير متعددة المصالح والمستويات الثقافية ، ما يتطلب دراستها بطرق كيفية للتعرف على ارائها ومواقفها والعوامل التي تقف وراء ها بشكل دقيق.

وقد أخذ الاهتمام مؤخرا ينصب على البحوث الكيفية بهدف تحويل مسار العلاقات العامة من الطابع التقليدي إلى طابع مهني فاعل يتناسب والتطورات التي تشهدها ساحات العمل والمنافسة في عموم أنحاء العالم ، لما تمتاز به هذه البحوث من استثارة أفكار المبحوثين وتزويد الباحثين بمعلومات دقيقة ومفيدة لا يمكن الحصول عليها عن طريق البحوث الكمية ، كذلك فان نتائجها العميقة تساعد على تطوير أفكار جديدة .

ولذلك فقد جاءت دراستنا هذه لمعرفة مدى توظيف البحوث الكيفية في دراسات العلاقات العامة في العراق عن طريق اخضاع جميع بحوث العلاقات العامة (رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه والبحوث العلمية المنشورة في مجلة الباحث الإعلامي) للتحليل .

وانقسمت الدراسة إلى ثلاثة فصول كان الأول الإطار المنهجي الذي تضمن مشكلة الدراسة واهميتها واهدافها والمنهج والعينة وتعريف المصطلحات ، اما الفصل الثاني وهو والإطار النظري فقد احتوى على مفهوم البحث الكيفي وتصميمه والأساليب الكيفية في جمع البيانات والعينات في البحوث الكيفية وحجمها فضلا عن تنظيم وتحليل البيانات ، فيما مثّل الفصل الثالث « الإطار الميداني للدراسة « وضمّ تحليل نتائج الدراسة وتفسيرها و بناء تصميم منهجي للبحوث الكيفية في العلاقات العامة .

الإطار المنهجي للدراسة

ا. مشكلة الدراسة

إن البحث الكيفي له ميزاته الخاصة التي ينفرد بها عن البحوث الكمية ، فهو يوفر مرونة عالية للباحثين في تناول الموضوعات البحثية ، فضلا عن توفير قدر عالٍ من فهم الظاهرة المدروسة ناتج عن التفاعل الكبير بين الباحث والأشخاص الخاضعين للدراسة ، وهذا ما حدا بالمتخصصين في مختلف العلوم الإنسانية ولا سيما العلاقات العامة إلى توظيف البحث الكيفي ، فلكل مؤسسة فلسفة تسعى إلى تطبيقها وأهداف تريد تحقيقها ومشكلات تعترض عملها من

الضروري وضع حلول عملية ناجعة لها ، وهذا كله يجعل ممارسي العلاقات العامة باحتكاك مستمر مع جماهير (داخلية وخارجية) يجب الاهتمام بها ومعرفة آرائها واتجاهاتها ازاء المؤسسة بشكل تفصيلي دقيق ، وخير أسلوب لتحقيق ذلك هو اللجوء إلى تقنيات البحث الكيفي.

وعلى الرغم من ذلك فان المؤشرات الأولية تشير إلى قلة استخدام البحث الكيفي في بحوث العلاقات العامة في العراق ، ومن هنا يمكن صياغة مشكلة الدراسة بالتساؤل الرئيس الآتي ((ما مدى توظيف البحث الكيفي في دراسات العلاقات العامة في العراق ؟)) .

٢. أهمية الدراسة

تكتسب الدراسة أهميتها من الأهمية العلمية والتطبيقية الكبيرة لموضوع البحث الكيفي ، فهي تنبه إلى أهميه طرق البحث الكيفي والتيار الفكري العميق والدقيق القائمة عليه ، فضلا عن إعطاء توضيح وافٍ لماهية هذه الطرائق وتقسيماتها والأدوات البحثية التي تستخدمها وصولا إلى تنظيم البيانات واستخلاص النتائج مما يمكن أن يكون دليلا لبحوث مستقبلية قائمة على أساس كيفي .

كذلك فان هذه الدراسة هي الأولى التي تناولت البحث الكيفي في بحوث العلاقات العامة في العراق (رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه والبحوث المنشورة في مجلة الباحث الإعلامي) ما يكسبها أهمية استثنائية تأتي من ضرورة أخذ تصور علمي دقيق عن المسارات العلمية المنهجية التي تطبق في بحوث العلاقات العامة في العراق وكيفية توظيفها لما لذلك من تأثير على طبيعة البحث العلمي في هذا المجال الحيوي ودقة النتائج المتحصلة وفائدتها للعلم والمجتمع ، وحتى عند مراجعة الأدبيات المتعلقة بالبحث الكيفي وجد الباحث كثير من الدراسات النظرية التي تكلمت عن مفهوم البحث الكيفي وفلسفته والخطوات العملية لتنفيذه .... الخ، ولكن لم يجد دراسات ميدانية سابقة لموضوع الدراسة. فضلا عن إن المدى الزمني الكبير للمادة العلمية الخاضعة للدراسة ((من ١٩٨٩ إلى ٢٠١٦)) يعطينا تصورا شاملا ودقيقاً لمسيرة البحث العلمي في مجال العلاقات العامة في العراق منذ بدايتها ولحد الآن لتكون النتائج مفيدة في تصحيح الأخطاء وبناء خطط ومشاريع بحثية مستقبلية قائمة على أسس كيفية .

٣. أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن جملة أمور تخص بحوث العلاقات العامة في العراق أهمها:

أ. التعرف على البحث الكيفي من حيث التصنيف والخصائص والإجراءات التنفيذية .
ب. معرفة مدى توظيف البحوث الكيفية في دراسات العلاقات العامة في العراق .
ت. التعرف على أدوات البحث الكيفية المستخدمة في بحوث العلاقات العامة.
ث. معرفة العينات الأكثر استخداما في البحوث الكيفية ؟
ج. كيفية تنظيم وتحليل البيانات في البحوث الكيفية ؟
ح. بناء تصميم منهجي للبحوث الكيفية في العلاقات العامة .

٤. منهج الدراسة وعينتها

إن المنهج الأفضل والأنسب لتحقيق أهداف هذه الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها هو المنهج المسحي ، وذلك عن طريق اعداد استمارة تحليل دقيقة وتفصيلية لمعرفة طبيعة البحث الكيفي وكل الإجراءات المنهجية المتعلقة به والمستخدمة في البحوث موضوع الدراسة .

وقد تم إخضاع جميع بحوث العلاقات العامة في العراق للدراسة للمدة من ١٩٨٩ إلى ٢٠١٦ والبالغ عددها ١٦٤ بحثا ، وقد تضمنت هذه البحوث رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه التي أجيزت في كلية الإعلام جامعة بغداد لكونها الكلية الوحيدة في العراق التي تمنح شهادات عليا في العلاقات العامة ، كذلك تم ضم جميع بحوث العلاقات العامة المنشورة في مجلة الباحث الإعلامي التي تصدر عن كلية الإعلام جامعة بغداد للدراسة لكونها المجلة المحكمة الوحيدة المختصة ببحوث الإعلام في العراق .

٥. تعريف المصطلحات والمفاهيم

أ. البحث الكيفي : ويقصد به البحث الذي يقوم باستقراء الظواهر الإنسانية من خلال وجهات نظر المشاركين في البحث باستخدام طرق متعددة ومرنة للوصول إلى نتائج دقيقة وعميقة لا يمكن التوصل إليها عن طريق البحث الكمي .

ب. بحوث العلاقات العامة : ويقصد بها كل بحوث العلاقات العامة التي تم إعدادها في كلية الإعلام جامعة بغداد وتشمل رسائل الماجستير واطاريح الدكتوراه ، فضلا عن البحوث المنشورة في مجلة الباحث الإعلامي التي تصدر عن كلية الإعلام .

الإطار النظري للدراسة

أولا : مفهوم البحث الكيفي

قد تكون مناقشة منهج البحث الكيفي مربكة بسبب عدم الاتفاق على تعريف محدد لمصطلح الكيفي ، وفي الحقيقة فان بعض الباحثين الكيفيين يقاومون تعريف المصطلح خشية وضع حدود للتقنية ، ويزداد الأمر تعقيدا بارتباط عدد من المستويات المرجعية بالمصطلح . فقد أُستخدمت كلمة كيفي للإشارة إلى : (أ) فلسفة واسعة ومقاربة للبحث ، (ب) منهجية البحث ، (ج) مجموعة محددة من تقنيات البحث .[١]

اذن ما البحث الكيفي الذي دخل حروبا مريرة مع البحث الكمي حتى بدا للبعض في النصف الثاني من القرن العشرين إن العلوم الإنسانية قد خضعت تماما للهيمنة الامبيريقية الوضعية ، كما وصفها الفيلسوف الألماني ادموند هوسرل في نقده اللاذع للمناهج الوضعية ، وهو أنها أصبحت مقطوعة الصلة بالإنسان وعالمه ، وليس لديها أي شي ما تقوله لنا في ازمتنا الحياتية ، فهي تهتم بالأرقام لا بالإنسان ، ولا تساعده على حل مشاكله الحياتية .(٢)

وبشكل عام فالبحث الكيفي هو جمع وتحليل وتفسير البيانات بشكل سردي ومنطقي لأجل فهم ظاهرة محددة، فالباحث الكيفي يعتمد على الملاحظة المباشرة في الميدان الطبيعي للحياة

الاجتماعيــة، وقـد يدعـم ملاحظتـه المباشـرة بجمـع بعـض الوثائـق والمسـتندات أو يجـري مقابـلات غيـر مقننـة . إذ ليـس للباحـث الكيفـي أيـة سـيطرة مسـبقة علـى أي من المتغيـرات وأسـاليب جمع المعلومـات، وان الباحـث يتجنـب اللجـوء إلـى الطـرق الإحصائيـة التـي تميـز البحـوث الكميـة.(٣)

وفـي هـذا السـياق يذكـر (لمنـك) إن البحـث الكيفي مـن وجهة نظـر معارضيـه الكميين يحـدد من خـلال العناصـر الآتية:

١. لا يستخدم إلا عددا قليلا من المبحوثين .

٢. لا يستخدم عينات حقيقية حسب مبدأ العشوائية .

٣. لا يستخدم المتغيرات الكمية .

٤. لا يستخدم التحليلات الإحصائية.

ويفند (لمنك) الخصائص المذكورة بانها سـمات خارجية ، لا تصدق في جل الحالات المدروسـة ، ففـي بعـض حـالات البحـوث الكيفية قـد يتراوح عـدد المبحوثين ما بيـن (٥٠) حتـى (١٠٠). وفي حالـة قلـة عـدد المبحوثين ، فان الأسـباب تعود إلى التكاليـف والوقت .[٤]

أمـا أنصـار البحـث الكيفـي فينظرون إلـى منهجهم انه يصـف « عوالم الحياة مـن الداخل لا من الخارج ، من منظور البشـر الفاعلين، ومن مركزية الإنسـان لا هامشـيته وتهميشـه ، ومن عمق عالم الحيـاة والإنسـان لا ظاهـره ، وهـو مـا يعطـي للبحـث الكيفـي أهميته وقدرتـه على فهم افضـل للواقع الاجتماعـي ، ويصـور لنـا الحيـاة الاجتماعية في ديناميكيتهـا ، وطبيعتها ، وهكذا فـان البحث الكيفي هو قراءة واقعية لحياة البشـر ، كما يعيشـونها ، ويحسـون بها ، لا كما يكتب عنها الآخرون . وفهم معنـى الواقـع مـن خـلال التفاعل بين البشـر ، أي انه رؤية المجتمع مـن الداخل .[٥]

وخيـر طريقـة لفهـم البحث الكيفي والتعـرف على خصائصه هـي مقارنته بالبحـث الكمي ، وتبرز نقـاط الاختلاف بينهما بالشـكل الآتي : [٦]

١. التبايـن فـي الأهـداف : إن البحـث الكيفـي يهـدف إلـى فهـم الظاهـرة الاجتماعيـة مـن منظـور المشـاركين انفسـهم . لان الباحـث الكيفـي يعتمـد على فهـم البيئة والإطـار الذي يحدث فيه السـلوك . أمـا أهـداف البحـث الكمـي فتركز على إيجـاد علاقات وتفسـيرات لا علاقة لها بالبيئـة الاجتماعية .

٢. لا يقـوم البحـث الكيفـي بوضـع خطـة متسلسـلة للبحث بـل إن الباحـث يقوم بوضع خطـط طارئة أثنـاء عمليـة البحـث ، أما الباحث الكمـي فانه يقوم باتباع إجراءات وخطوات متسلسـلة يسترشـد بها فـي بحثه قبل إجـراء البحث .

٣. يكـون دور الباحـث الكيفـي هو الانغماس في الموقف أو الظاهرة التي يقوم بدراسـتها فهو يشـارك فـي جميـع النشـاطات والفعاليات الاجتماعيـة التي تجري في إطار الظاهرة . أمـا الباحث الكمي فيكون دوره منفصـلا ويراقبها من بعيد .

٤. لا يلتزم الباحث الكيفي بالطرق الاحتمالية لاختيار العينات إذ انه قد يختار أي مشكلة في أي مجتمع

بشكل مقصود لأنه لا يرمي إلى تعميم نتائج بحثه بل يهدف إلى فهم الظاهرة ، في حين يتطلب من الباحث الكمي الالتزام بالطرق الاحتمالية لاختيار العينات لأنه يرمي إلى تعميم النتائج على حالات اخرى .

٥. لا يتطلب البحث الكيفي استخدام طرق الإحصاء الاستدلالي لأنه لا يميل إلى التوصل لاستنتاجات معينة بشأن مجتمعات اخرى في حين يتطلب البحث الكمي الإفادة من الإحصاء الوصفي والاستدلالي .

٦. لا تستخدم في البحوث الكيفية أدوات بحث تقليدية كالاختبارات والاستبيانات التي يتم إعدادها مسبقا على عكس البحوث الكمية التي تتطلب الاستعانة بهده الأدوات .

ثانيا : تصميم البحث الكيفي

إن تصاميم البحث الكيفي اقل تنظيما من تصاميم البحث الكمي ، ففي البحث الكيفي يتم تحديد الإجراءات خلال عملية البحث بدلا من تحديدها مسبقا ، وتعتمد كل خطوة على المعلومات السابقة التي يتم جمعها في الدراسة . وفي البحوث الكيفية يتم عادة دراسة السلوك كما يحدث بصورة طبيعية ، ودون التحكم بالظروف أو الخبرات ، وهي بهذا المعنى بحوث غير تجريبية .

ويصنف البحث الكيفي عادة في صنفين هما البحث الكيفي التفاعلي ، والبحث الكيفي غير التفاعلي ، وان ما يميز كل من صنفي البحث الكيفي هو نوع البيانات واستراتيجيات جمع هذه البيانات ، فالبحث الكيفي التفاعلي هو بحث ميداني يعتمد في جمع البيانات على الاتصال المباشر ما بين الباحث والأشخاص من خلال المشاهدات الميدانية أو من خلال المقابلات المعمقة ، أما البحث الكيفي غير التفاعلي فهو بحث وثائقي تحليلي أو بحث تاريخي .[٧]

ويتخذ البحث الكيفي صورا متعددة ، ولكن الصور الثلاث المألوفة الاستخدام هي :

١. مشاركة الملاحظ : تتطلب إجابة بعض أسئلة البحوث القيام بملاحظة سلوك الأفراد أو ما يحدث في الواقع ، وفي دراسات مشاركة الملاحظ يشترك الباحثون في الموقف الذي يقومون بملاحظته . وقد تكون مشاركة الملاحظ علنية ، او تكون الملاحظة غير علنية حيث يتخفى الباحث ويشارك كفرد من أفراد العينة .

٢. عدم مشاركة الملاحظ : وفي هذا النوع من البحوث لا يشترك الباحثون في الأنشطة التي يلاحظونها وإنما يشاهدونها فقط ، ولا يشتركون مباشرة في الموقف . وتوجد عدة أنواع من عدم مشاركة الملاحظ يستخدمها الباحثون ولكن الشائع منها هو :

أ. الملاحظة الطبيعية : وتتضمن ملاحظة الباحث للأفراد في موقفهم الطبيعي دون أن يبذل جهدا في التحكم بالمتغيرات او ضبط أنشطة الأفراد وإنما يسجل ما يحدث كما يتم في الواقع .

ب. المحاكاة : لدراسة متغيرات معينة يقوم الباحث أحيانا بإيجاد موقف ويسال الأفراد بالتصرف فيه ، أو محاكاة أدوار معينة . وفي المحاكاة يحدد الباحث للأفراد ما يفعلونه (وليس كيف يفعلونه) . وهذا يسمح للباحث بملاحظة ما يمكن حدوثه في مواقف معينة . ويوجد نوعان من محاكاة الدور يستخدمهما الباحثون هما : محاكاة الدور الفردي حيث يسال الفرد القيام بدور كما يفكر فيه شخص معين وفي موقف معين ، ثم يلاحظ الباحث ما يحدث . ومحاكاة الدور الجماعي حيث

يقوم مجموعة من الأفراد بأدوار معينة في الموقف ، ويلاحظ الباحث ويسجل ما يحدث ، وهنا يهتم الباحث بالتفاعل بين أعضاء المجموعة .[٨]

ت. دراسة الحالة : يقصد بها اختيار عدد محدود من الحالات او المفردات الممثلة ، ودراستها دراسة شاملة متعمقة مستوعبة ، بهدف الوصف والفهم الكاملين لكل حالة على حدة ولجميع العوامل المتشابكة والقوى الداخلة في كل منها والعلاقات بينها ، ومدى الترابط بين هذه العوامل ، وذلك بهدف التعرف على كل الخصائص العامة لجميع الحالات او المفردات تحت البحث ، واكتشاف نوع الخصائص المشتركة بين هذه الحالات ، والخصائص التي تنفرد او تتميز بها مفردة أو حالة واحدة أو عدد محدود جدا من الحالات والمفردات .[٩]

ث. تحليل المضمون الكيفي : أن التحليل الكيفي للمضمون يقصد به التحليل المتعمق للمحتوى بما يتيح توضيح الأفكار العامة والتفصيلية فيه ، وما يكمن وراء ها من معان ودلالات والوصول من ذلك إلى وصف شامل للموضوع ، مع تدعيم هذا الوصف باستنتاجات سليمة واستدلالات منطقية . فالتركيز هنا يكون على الأفكار والمعاني والاستنتاجات وليس على الخصائص الكمية او الوصف الكمي . والتحليل الكيفي للمضمون لا تحده أي قيود على الإبداع في الوصف التفصيلي الموضوعي والتفسير المتعمق دون التركيز على الأوزان الكمية لتصنيفات المضمون الذي نقوم بتحليله ، ومن الممكن ان يستخدم الباحث بعض الأرقام أو المؤشرات الكمية ، لكنها لا تكون إلا في حدود ما يثري التحليل الكيفي للمضمون المراد تحليله ، وبما يعطي هذا المضمون أبعادا أعمق .(١٠)

٣. البحوث الميدانية الشاملة (الاثنوغرافي) : يتضمن البحث الميداني الشامل دراسات مشاركة الملاحظ وكثير من خصائص دراسات عدم مشاركة الملاحظ وذلك للحصول على صورة كاملة قدر الامكان للموضوع المدروس ، ويركز البحث على توثيق ادلة وعرض خبرات الافراد اليومية التي جمعت من الملاحظة والمقابلة وغيرها .[١١]

وبعد أن كان مفهوم الاثنوغرافي يرتبط بمفاهيم عرقية وجغرافية ، اصبح يشمل على كل جماعة من الأفراد في منطقة ما، أو في مؤسسة معينة ، ومن هذا المنطلق فانه يمكن للباحث الكيفي أن يدرس ثقافة المؤسسات على مختلف أنواعها .[١٢]

ثالثا : أساليب جمع البيانات في البحوث الكيفية

تجمع الأساليب الكيفية البيانات على شكل كلمات وأوصاف متعمقة للظواهر ، وليس بصورة كمية أو أرقام ، وبينما يمكن استخدام أساليب كيفية مختلفة لتوفر أوصاف لفظية فان الهدف من كل منها هو الوصول الى وصف دقيق للسلوك الذي يحدث في مواقف طبيعية للمشاركين في الدراسة ، وبعد جمع البيانات يتم تحليلها بطريقة استقرائية لاستخلاص النتائج .

وتمتاز الأدوات الكيفية بقدرتها على أمدادنا بثروة من المعلومات تفيد في الإجابة عن تساؤلات بحثية مهمة متمثلة في (لماذا ؟) و (كيف ؟) ، لماذا تحدث الظاهرة ؟ وكيف تحدث ؟ بمعنى اخر فان تلك الأدوات الكيفية تفيدنا في التعمق في الظواهر الخاضعة للدراسة وعدم

الاقتصار على رصد الظواهر رصدا كميا ربما لا يعطي دلالات في كثير من الأحيان ، لذا بدأ الاهتمام بضرورة المزاوجة بين الأدوات الكمية والأدوات الكيفية في الدراسات الإعلامية . [١٣]

وتتمثل اهم الأدوات الكيفية المستخدمة في جمع البيانات في :

١. الملاحظة العلمية : الملاحظة هي المشاهدة الدقيقة لظاهرة ما ، أو هي المراقبة لظاهرة ما بطريقة منهجية أو علمية[١٤]، كذلك عرفت الملاحظة بانها (الانتباه على ظاهرة او مهمة معينة أو شي ما بقصد الكشف عن أسبابها وقوانينها)[١٥] ، وتهتم الملاحظة بالوصف والتفسير اكثر من القياس والأرقام ، وتهدف إلى تطوير فروض ونظريات .

٢. المقابلة العلمية : تعرف المقابلة بانها حديث بين القائم بها وبين المفحوص ، يتم بواسطتها جمع المعلومات من خلال التفاعل المباشر بين الأفراد. وتعد المقابلة من الأدوات المهمة لجمع المعلومات في البحوث العلمية لما تنطوي عليه من تفاعل لفظي بين الباحث والمبحوث يسهم في الحصول على معلومات أو بيانات اكثر عمقا عن الظاهرة أو الحالة . [١٦]

٣. المجموعات البؤرية : هي عبارة عن مناقشة تواصلية غير رسمية ينخرط بها من (٦ــ١٠) أفراد بغرض توليد وجمع معلومات نوعية عن موضوع بحثي هو في غاية التحديد بقيادة (مُيسر) فعال جل همه تحفيز الأفراد للتعبير وبمطلق حريتهم عن أفكارهم ومشاعرهم ومكنونات نفوسهم .[١٧]

٤. الأساليب الإسقاطية : إذا كانت مجموعات النقاش المركزة والمقابلات المعمقة هي أدوات مباشرة في البحوث الكيفية ، حيث يتم فيها أخبار المبحوثين بالهدف الحقيقي للبحث ، فان الأساليب الإسقاطية تحاول إخفاء الغرض الرئيسي من البحث ، فهي أساليب غير مباشرة وغير مقننة لتوجيه الأسئلة للمبحوثين لتشجيعهم لإسقاط دوافعهم واتجاهاتهم ومعتقداتهم على أشخاص أو موضوعات اخرى غير ذواتهم ، وتتعدد الأساليب الإسقاطية ومنها أسلوب تداعي المعاني والأفكار ، واستكمال الناقص ، والبناء ، والأساليب التعبيرية . [١٨]

٥. نظام الفحص الوثائقي : في بعض أنواع البحوث الكيفية (غير التفاعلية) يكون ميدان العمل ليس أشخاصا وإنما وثائق وسجلات يخضعها الباحث لعملية فحص وتحليل وأبداء الملاحظات عليها وصولا إلى النتائج المطلوبة .[١٩]

رابعا : العينات في البحوث الكيفية

يتوجه الباحث في البحث الكيفي عادة نحو عينة غير عشوائية ، أي عينة مقصودة في جمع البيانات لتحقيق أهداف البحث من خلال أدوات فعالة غير محكمة البناء مثل الملاحظة المشاركة والمقابلات المعمقة والوثائق والسجلات الأولية المرتبطة بالموضوع ويكون دور الباحث فيها دورا اجتماعيا متفاعلا لكنة يعتمد على الذاتية المنضبطة للابتعاد عن التحيز في جمع البيانات وتفسيرها ولا يهدف البحث الكيفي عادة إلى تعميم النتائج بل إلى توسيع نتائج الحالة المبحوثة لاحتمالات الاستفادة منها في مواقف وحالات اخرى .[٢٠]

وهناك أربعة انواع من العينات على الاقل ينفرد بها البحث الكيفي وهي : [٢١]

١. عينات الفروق القصوى : وتسمى أحيانا بعينة الكوتا ، وهي تستخدم لاختيار مجموعة من الافراد غير المتجانسين في الخصائص . فمثلا يمكن الباحث ان يقسم مجتمع الموظفين حسب شهاداتهم العلمية الى فئتين او حسب سنوات الخدمة الى ثلاث فئات من اجل دراسة تطور مهنتهم ، او تقسيم المرأة العاملة الى فئتين حسب مستوى التعليم من اجل دراسة مشكلات المرأة العاملة .

٢. العينات الشبكية : وتسمى أيضا عينات الكرة الثلجية ، حيث تعتمد طريقة اختيار هذه العينة على خصائص معينة ومعلومات خاصة تتوفر في المشارك ثم الطلب من المشارك اقتراح اخرين تنطبق عليهم هذه الخصائص والمعلومات .

٣. عينات نمط الحالة : وهي عينات لحالات خاصة متطرفة او حادة فريدة او مشهورة يأخذ الباحث احدى هذه الحالات الفريدة كطالب موهوب في الرياضيات ويجيد العمليات الحسابية ذهنيا بشكل فعال .

٤. الحصر الشامل : ويعني دراسة جميع الافراد والحالات في المجتمع الخاضع للدراسة . وهو يستخدم عندما يكون المجتمع صغيرا فهنا يؤخذ جميع الافراد ويتم اخضاعهم للدراسة .

خامسا : حجم العينة في البحوث الكيفية

ان احجام العينات في البحوث الكيفية محدودة وصغيرة عادة إذا ما قورنت بحجمها في البحوث الكمية . ولابد من التذكير هنا بان العينات ذوات الحجم الصغير قد تكون ذات فائدة اكبر من ذوات الحجم الكبير في بعض الدراسات .

وينظر القائمون على البحث الكيفي إلى عمليات سحب العينات على أساس انها دينامية ، ومتطورة اكثر منها ثابتة ومحددة سلفا . وفي الوقت الذي توجد فيه قوانين وقواعد إحصائية لحجم العينات الاحتمالية ، هناك فقط ارشادات لحجم العينة المقصودة ، ويمكن ان يتراوح حجم العينة المقصودة ما بين ١ ــ ٤٠ او اكثر . وغالبا ما يبدو حجم العينة الكيفية قليلا مقارنة بحجم العينة المطلوب او الضروري للتمثيل والتعميم في مجتمع اكبر في العينات الاحتمالية .[٢٢]

أما عن عدم استخدام العينات فيعود إلى قلة عدد المبحوثين الذي لا يحتاج الى استخدام العينات ، وكذلك بخصوص التحليل الإحصائي وقياس المتغيرات فتلك تلعب دورا ثانويا في البحث الكيفي . ولكن ذلك لا يعني إن المتغيرات الكمية ، مثل العمر وعدد الأطفال ومدة البطالة ....الخ ، لا تستخدم في وسائل البحث الكيفي (المقابلة غير المقننة ، سيرة الحياة ، المحادثة الجماعية ، البحث الميداني الكيفي ، المقابلات المعمقة ....الخ) . وعليه فان القياس ليس من مكونات البحث الكيفي ، وذلك ان منهج البحث الكيفي يهتم بالمقام الأول بنماذج التفسير والفعل ، ذات الطابع الإلزامي المحدد . [٢٣]

ويعمد الباحثون الكيفيون إلى مجموعة من الموجهات في تحديد حجم العينة المقصودة :[٢٤]

١. هدف الدراسة : يكون محددا مهما لحجم العينة التي تشتق منها المعلومات الوافية ، فبعض من بحوث دراسة الحالة مثلا قد لا تحتاج الا الى حالة واحدة .

٢. محور الدراسة : فالدراسات التي يكون محورها المشاهدة الميدانية تعتمد على المدى الزمني ، بينما تعتمد دراسة المقابلة على اشخاص يتم اختيارهم في ضوء سهولة الوصول اليهم .

٣. استراتيجية جمع البيانات الميدانية : على مستوى الملاحظة او المقابلة ، فقد يكون حجم العينة صغير ولكن الباحث يحتاج الى ان يعود باستمرار الى الموقع ، او الى نفس الاشخاص المشاركين المعنيين بجمع المعلومات من اجل تأكيدها او استكمالها او توضيحها.

٤. مدى توافر مقدمي المعلومات : بعض الحالات تكون نادرة وصعبة ، بينما تكون حالات اخرى سهلة نسبيا .

٥. الزيادة اللاحقة في حجم المعلومات : وهل اضافة المزيد من المعلومات او العودة الى الميدان يؤديان الى اية افكار جديدة ام انها تكرار لما تم التوصل اليه ، أي انها لن تضيف شيئا جديدا .

٦. وحدة التحليل المستخدمة تحدد حجم العينة : فوحدة التحليل التي تستخدم موظفين في دوائر واقسام تتطلب عددا اكبر من الموظفين في دراسة ما من وحدة التحليل اذا كان مديرا عاما مثلا .

٧. واخيرا بالامكان مراجعة حجم العينة والحكم على كفايتها عن طريق الاستعانة بالخبراء .

سادسا : تنظيم البيانات وتحليلها في البحوث الكيفية

تأتي البيانات الكيفية في مجموعة معينة من الاشكال ، مثل الملاحظات التي يتم ابداؤها اثناء الرصد في الميدان ، ونصوص المقابلات ، والوثائق والمذكرات ، والمجلات ، فضلا عن ذلك يراكم الباحث كمية كبيرة من البيانات اثناء الدراسة ، ويقوم بتنظيم كل هذه المعلومات وتحليلها ليجعل منها شيئا ذا معنى ، وهذا يشكل تحديات خاصة على الباحث الذي يستخدم الاساليب النوعية .

وعلى عكس النهج الكمي الذي ينتظر حتى جمع كل الارقام قبل بدء التحليل ، فان تحليل البيانات في الدراسات الكيفية يتم مبكرا اثناء عملية الجمع ويستمر طيلة البحث ، اضافة لذلك ، فان الباحثين الكميين عموما يتبعون النموذج الاستنباطي في تحليل البيانات اذ يتم تطوير الفرضية مسبقا قبل الدراسة ، وبعدها يتم جمع البيانات ذات العلاقة ثم يتم تحليلها لتقرير ما اذا ثبتت الفرضية . وفي المقابل يستخدم الباحث الكيفي الاسلوب الاستقرائي او يتم تجميع البيانات ذات العلاقة بموضوع ما ، ثم توضع في مجموعات مناسبة وذات معنى ، وتنبثق التفسيرات من البيانات .[٢٥]

ولا يوجد اسلوب اوحد صحيح ومحدد ومتفق عليه في تحليل بيانات البحث الكيفي ، فبمجرد الانتهاء من جمع البيانات يجد الباحث نفسه امام مجموعة كبيرة من البيانات التي تتطلب الفرز والتصنيف الى مجموعات متدرجة ، وذلك حسب تصور ذهني يقابل اهداف البحث . وحتى في مدخل تحليل المحتوى الذي يبدو بسيطا ، لابد ان يقوم الباحث بتحديد الخصائص المطلوب دراستها بعد التدقيق الشديد في المادة التي يتم تحليلها ، وفي غالبية البحوث الكيفية يتداخل تحليل البيانات مع تفسيرها ، مع جمعها ، بمعنى ان الباحث ـ اثناء تحليل البيانات ـ قد يجد ضرورة الحصول على بيانات اضافية حتى يمكنه تحليل بيانات معينة ، واثناء التفسير قد يجد ضرورة اعادة تحليل جزء معين من البيانات حتى يكتمل التفسير ... وهكذا ، هذا التشابك يقل كثيرا في البحث الكمي حيث يكون جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها خطوات محددة .[٢٦]

ونظرا لجودة البحوث الكيفية ودقة نتائجها فقد شهد هذا الاتجاه البحثي نموا وشعبية في بحوث العلاقات العامة . ويشير ديمون وهولواي الى ان احد الاسباب وراء هذا التوجه هو

ان ممارسي العلاقات العامة قد حولوا تركيزهم من الاتصال باتجاه واحد والتحكم بالجمهور ، الى الحوار والتعاون بحيث ان على المؤسسات الان ان تسمع ، وتقدر ، وتفهم وتتماثل مع أولئك الذين تتحدث اليهم ــ وهي مهمات افضل ما يتم تناولها بالمناهج الكيفية .[٢٧]

الدراسة الميدانية

اولا : تحليل نتائج الدراسة وتفسيرها

لقد شكلت المدة الزمنية التي اخضعت للتحليل ٢٧ عاما امتدت من ١٩٨٩ ولغاية ٢٠١٦ وتضمنت ١٦٤ بحثا ، وقد قسمت هذه المدة الى حقب زمنية كان طول الواحدة منها خمس سنوات ، امتدت الاولى من ١٩٨٩ الى ١٩٩٥ وضمت اربعة بحوث وبنسبة ٢,٤ ٪ ، فيما امتدت الحقبة الثانية من ١٩٩٦ الى ٢٠٠٠ وضمت ستة بحوث وبنسبة ٣,٧ ٪ ، والحقبة الثالثة من ٢٠٠١ الى ٢٠٠٥ واحتوت ٢٥ بحثا وبنسبة ١٥,٢٪ ، اما الحقبة الرابعة من ٢٠٠٦ إلى ٢٠١٠ فتشكلت من ٦٣ بحثا وبنسبة ٣٨,٤٪ ، واخيرا الحقبة التي امتدت من عام ٢٠١١ ولغاية انجاز الدراسة في ٢٠١٦ وتضمنت ٦٦ بحثا وبنسبة ٤٠,٢٪ .

وقد تنوعت البحوث الخاضعة للدراسة فكانت بثلاثة مستويات الأولى اطاريح الدكتوراه وعددها ٤٠ اطروحة وبنسبة ٢٤,٤٪ ، اما رسائل الماجستير فقد بلغت ٨٧ رسالة وبنسبة ٥٣٪ ، وبحوث العلاقات العامة المنشورة في مجلة الباحث الإعلامي وعددها ٣٧ بحثا وبنسبة ٢٢,٦٪ .

اما من حيث التخصص فقد قسمت البحوث الى بحوث علاقات عامة (أي تتضمن مفردة « علاقات عامة «) في عنوانها وكان عددها ٩٥ بحثا وبنسبة ٥٧,٩٪ ، أما بحوث الإعلان فكان عددها ٢٦ بحثا وبنسبة ١٥,٩٪ ، فيما شكلت بحوث الصورة الذهنية نسبة ١٧,١٪ وبعدد ٢٨ بحثا ، وأخيرا تم وضع مفردة (اخرى) للإشارة إلى بحوث لم تتضمن في عناوينها أياً من التقسيمات السابقة ولكنها تصنف من الناحية العلمية ضمن اختصاص العلاقات العامة مثل بحوث الاتجاهات والتسويق والحملات وقد بلغ عدد البحوث ضمن هذه الفئة ١٥ بحثا وبنسبة ٩,١٪ . انظر جدول (١)

جدول (١) يبين سنوات انجاز البحوث ونوعها وتخصصها

ت	سنة الانجاز	ت	٪	نوع البحث	ت	٪	التخصص	ت	٪
١	١٩٨٩-١٩٩٥	٤	٢,٤	دكتوراه	٤٠	٢٤,٤	علاقات عامة	٩٥	٥٧,٩
٢	١٩٩٦-٢٠٠٠	٦	٣,٧				اعلان	٢٦	١٥,٩
٣	٢٠٠١-٢٠٠٥	٢٥	١٥,٢	ماجستير	٨٧	٥٣,٠	صورة ذهنية	٢٨	١٧,١
٤	٢٠٠٦-٢٠١٠	٦٣	٣٨,٤				اخرى	١٥	٩,١
٥	٢٠١١وما بعدها	٦٦	٤٠,٢	بحث منشور في مجلة	٣٧	٢٢,٦			
المجموع		١٦٤	١٠٠	المجموع	١٦٤	١٠٠	المجموع	١٦٤	١٠٠

اما عن المناهج المستخدمة في بحوث العلاقات العامة فقد وجدنا ان المنهج المسحي يأخذ النصيب الاكبر وبعدد (١٥٧) وبنسبة ٩٥,٧٪ ، فيما لم يستخدم المنهج المقارن سوى مرة واحدة

وبنسبة ٠,٦ ٪ ، واستخدم المنهج التاريخي اربع مرات وبنسبة ٢,٤ ٪ ، واستخدم منهج دراسة الحالة مرتين وبنسبة ١,٢ ٪ . واللافت للانتباه ان نسبة البحوث التي استخدمت الطريقة الكيفية (دراسة الحالة على وجه التحديد) قليلة جدا لا تتناسب واهمية البحث الكيفي في العلاقات العامة والحاجة إليه ، وعند مراجعة هذين البحثين الذين استخدما البحث الكيفي وجدنا ان الاول (وهو بحث منشور في مجلة الباحث الإعلامي) قد اسُتخدمت فيه آليات كمية بحته لا علاقة لها بأساليب البحث الكيفي فقد قام الباحثان بتوزيع استمارة استبانة على عينة عشوائية عددها ٤٠٠ طالب جامعي وتم التعامل معها بطريقة كمية ، أما البحث الثاني (وهو رسالة ماجستير) فعلى الرغم من تناولها لمؤسسة معينة لها خصوصيتها إلا انها وزعت استمارة استبانة ايضا على العاملين في العلاقات العامة وتعاملت معها بشكل كمي ، وهذا مؤشر واضح على عدم اعطاء البحث الكيفي أية أهمية في بحوث العلاقات العامة في العراق ما يحرم كثيراً من البحوث فرصة الاستفادة من ميزات البحث الكيفي ومن نتائج دقيقة هي بأمس الحاجة اليها .

أما فيما يتعلق بعدد المناهج المستخدمة في كل بحث فقد تبين من نتائج التحليل ان ١٥٩ بحثا وبنسبة ٩٦,٩ ٪ لم تستخدم سوى منهج علمي واحدٍ ، اما البحوث التي استخدمت منهجين فكان عددها ٥ بحوث وبنسبة ٣,١ ٪ .

وعن المناهج المساعدة التي تم استخدامها في بحوث العلاقات العامة فقد استخدم المنهج المسحي في بحثين وبنسبة ٤٠٪ ، أما المنهج المقارن فقد استخدم في بحث واحد فقط وبنسبة ٢٠٪ ، واستخدم المنهج التاريخي في بحثين وبنسبة ٤٠٪ . ينظر جدول (٢)

جدول (٢) يبين نوع المناهج العلمية الرئيسية والمساعدة المستخدمة في بحوث العلاقات العامة

ت	المنهج	ت	٪	عدد المناهج	ت	٪	المناهج المساعدة	ت	٪
١	مسحي	١٥٧	٩٥,٧	منهج واحد	١٥٩	٩٦,٩	مسحي	٢	٤٠
٢	مقارن	١	٠,٦						
٣	تاريخي	٤	٢,٤	منهجان	٥	٣,١	مقارن	١	٢٠
٤	دراسة الحالة	٢	١,٢				تاريخي	٢	٤٠
المجموع		١٦٤	١٠٠٪	المجموع	١٦٤	١٠٠٪	المجموع	٥	١٠٠٪

اما فيما يتعلق بالادوات المستخدمة لجمع البيانات فقد اشارت نتائج التحليل الى استخدام الاستبيان في ٩٩ بحثا وبنسبة ٦٠,٤٪ ، اما المقياس فقد استخدم في ١٦ بحثا وبنسبة ٩,٨٪ ، فيما استخدم تحليل المضمون الكمي في ٤٢ بحثا وبنسبة ٢٥,٦ ٪ ، وكان هناك ٧ بحوث نظرية لم تستخدم فيها ادوات لجمع المعلومات وكان جميعها ضمن البحوث المنشورة في مجلة الباحث الاعلامي وليس ضمن رسائل الماجستير واطاريح الدكتوراه .

وكان هناك ٢٢ بحثا استخدم فيها اكثر من اداة لجمع المعلومات ، فقد اعتمد ١٥ بحثا على اداة اضافية واحدة مساعدة للاداة الرئيسية وبنسبة ٦٨,١ ٪ ، فيما اعتمدت ٥ بحوث على اداتين أضافيتين وبنسبة ٢٢,٧ ٪ ، ولم يستخدم ثلاث ادوات اضافية مساعدة سوى بحثين اثنين وبنسبة ٩,١ ٪ .

اما عن نوع الأدوات الإضافية المساعدة فقد أشارت نتائج التحليل إلى استخدام المقابلة والملاحظة في ٥ بحوث كانت نسبتها ٢٢,٧ ٪ ، فيما استخدمت المقابلة في ١٤ بحثاً وبنسبة ٦٣,٦ ٪ ، واستخدمت المقابلة والملاحظة والمقياس في بحثين اثنين وبنسبة ٩,١ ٪ ، والمجموعات البؤرية في بحث واحد وبنسبة ٤,٥ ٪ .

ويلاحظ من النتائج أعلاه ان جميع الأدوات الرئيسية لجمع البيانات المستخدمة في البحوث موضوع الدراسة كانت كمية ، ولم نجد استعمالاً للأدوات الكيفية (كالملاحظة والمقابلة والمجموعات البؤرية) الا كادوات مساعدة وفي عدد قليل من البحوث ، وهذه نتيجة اخرى تضاف لما توصلنا اليه في الجدول (٢) وهي طغيان الصفة الكمية على بحوث العلاقات العامة في العراق وعدم الميل إلى استخدام مناهج البحث الكمي ولا وحتى إلى أدواته الخاصة بجمع المعلومات على الرغم من مرونتها وقدرتها على توفير كم كبير وعميق من المعلومات للباحثين لا يمكن للأدوات الكمية ان توفره . ينظر جدول (٣)

جدول (٣) يبين أدوات جمع المعلومات الرئيسية والإضافية المستعملة في بحوث العلاقات العامة

ت	الأدوات	ت	٪	عدد الأدوات الإضافية	ت	٪	نوع الأدوات الإضافية	ت	٪
١	استبيان مباشر	٩٩	٦٠,٤	اداة واحدة	١٥	٦٨,١	مقابلة وملاحظة	٥	٢٢,٧
٢	مقياس	١٦	٩,٨						
٣	تحليل مضمون كمي	٤٢	٢٥,٦	اداتان	٥	٢٢,٧	مقابلة	١٤	٦٣,٦
				ثلاثة ادوات	٢	٩,١	مقابلة وملاحظة ومقياس	٢	٩,١
٤	بدون اداة	٧	٤,٣				المجموعات البؤرية	١	٤,٥
	المجموع	١٦٤	١٠٠٪	المجموع	٢٢	١٠٠٪	المجموع	٢٢	١٠٠٪

كذلك فقد بينت النتائج ان ١٦١ بحثا وبنسبة ٩٨,٢ ٪ احتوى أهداف وتساؤلات محددة مسبقا ، ولم نجد أياً من البحوث قد طور أهدافا أثناء البحث ، فيما ظهر إن ثلاثة بحوث وبنسبة ١,٨٪ لم تكن لها اهداف محددة .

أما فيما يتعلق بالتساؤلات والفروض فقد تبين ان ٩١ بحثا وبنسبة ٥٥,٥٪ وضعت لها تساؤلات ، و ٤ بحوث وبنسبة ٢,٤ ٪ وضعت لها فروض ، اما البحوث التي احتوت على تساؤلات وفروض في الوقت نفسه فقد بلغ عددها ١٨ وبنسبة ١١٪ ، فيما تبين ان ١٥ بحثا كانت نسبتها ٣١,١ ٪ لم تتضمن تساؤلات أو فروضاً اطلاقا .

أما بخصوص اعتماد البحوث على نظريات علمية من عدمه ، فقد تبين ان ١٦١ بحثا وبنسبة ٩٨,٢ ٪ لم تعتمد على نظرية علمية وان ٣ بحوث فقط وبنسبة ١,٨ ٪ اعتمدت على نظرية ، بينما لم نجد أياً من البحوث الخاضعة للدراسة قد طور نظرية علمية أثناء البحث ، وهذا امر متوقع لان بحوث العلاقات العامة في العراق كمية بامتياز فلم يسجل إلا بحثين اثنين اعتمدا على منهج دراسة الحالة ، ولذلك فمن الطبيعي ان نجد قوالب منهجية معدة مسبقا تتلاءم مع الطبيعة الكمية للبحوث موضوع الدراسة ، وان نجد ان غالبية البحوث لم تعتمد على نظريات او تطورها . ينظر جدول (٤)

جـدول (٤) يبين البحوث من حيث الاهداف والتسـاؤلات والفروض واختبار النظريات

ت	.....	ت	٪	التساؤلات والفروض	ت	٪	اختبار النظريات	ت	٪
١	اهداف محددة مسبقا	١٦١	٩٨,٢	تساؤلات	٩١	٥٥,٥	تطوير نظريات	—	—
٢	اهداف عامة تطور اثناء البحث	—	—	فروض	٤	٢,٤	الاعتماد على نظريات	٣	١,٨
٣	لا توجد اهداف	٣	١,٨	الاثنان معا	١٨	١١,٠	بدون نظرية	١٦١	٩٨,٢
	المجموع	١٦٤	١٠٠٪	لا يوجد شي	٥١	٣١,١			
				المجموع	١٦٤	١٠٠٪	المجموع	١٦٤	١٠٠٪

اما بخصوص العينات المستخدمة في البحوث موضوع الدراسة فقد أشارت النتائج إلى استخدام العينة العشوائية البسيطة ٢٨ مرة وبنسبة ١٧,١٪ ، فيما استخدمت العينة العشوائية المنتظمة في خمسة بحوث وبنسبة ٣٪ ، واستخدمت العينة العنقودية في بحث واحد فقط وبنسبة ٠,٦٪ ، فيما استخدمت العينة الطبقية في ٦ بحوث وبنسبة ٣,٧٪ ، اما العينة متعددة المراحل فقد استخدمت في ١٥ بحثا وبنسبة ٩,١٪ ، واستخدمت العينة الحصصية في بحث واحد وبنسبة ٠,٦٪ ، ولجأ ١٢ بحثا إلى العينة المتاحة وبنسبة ٧,٣٪ ، أما العينة العمدية فقد استخدمت في ٢٥ بحثا وبنسبة ١٥,٢٪ ، وسجلت لدينا سبعة بحوث لم تستخدم نظام العينة وهي بحوث نظرية تمت الإشارة إليها في جدول (٣) ، وأخيرا نجد ان ٦٤ بحثا لجأ إلى أسلوب الحصر الشامل وبنسبة ٣٩٪ .

والملاحظ ان غالبية العينات كانت احتمالية وهذا ضروري لان الصفة الكمية طغت على بحوث العلاقات العامة وكان لابد من اللجوء إلى هذه العينات ، فضلا عن استخدام طريقة الحصر الشامل في عدد ليس قليلاً من البحوث وسبب ذلك ان بعض بحوث العلاقات العامة لاسيما التي تستهدف دراسة العلاقات العامة في مؤسسة ما يجد الباحث ان حصر جميع العاملين واخضاعهم للدراسة امر ضروري لقلة عددهم من جهة ولحصوله على معلومات اكثر دقة من جهة اخرى ، ولكن ما يؤاخذ على هذه البحوث انها استخدمت مناهج كمية للحصول على المعلومات عن طريق استمارات استبانة وكان الافضل لو تم دراسة العاملين في العلاقات العامة بطرق كيفية مثل المقابلات للحصول على تفاعل مثمر بين الباحث والمبحوثين يفضي الى نتائج اكثر عمقا ودقة من شأنها ان تثري نتائج البحث وتقدم حلولا مفيدة للمشكلات موضوع الدراسة . ينظر جدول (٥)

جـدول (٥) يبين نوع العينات المستخدمة في بحوث العلاقات العامة

ت	نوع العينة	ت	٪	ت	نوع العينة	ت	٪
١	عشوائية بسيطة	٢٨	١٧,١	٦	العينة الحصصية	١	٦.
٢	عشوائية منتظمة	٥	٣,٠	٧	العينة المتاحة	١٢	٧,٣
٣	عنقودية	١	٦.	٨	العينة العمدية	٢٥	١٥,٢
٤	طبقية	٦	٣,٧	٩	لاتوجد عينة	٧	٤,٣
٥	العينة متعددة المراحل	١٥	٩,١	١٠	حصر شامل	٦٤	٣٩,٠
	المجموع					١٦٤	١٠٠٪

ثانيا . بناء تصميم منهجي للبحوث الكيفية في العلاقات العامة

على الرغم من ان فكرة البحوث الكيفية واضحة ولها آلياتها الخاصة الا ان توظيفها في العلاقات العامة يكسبها نوعاً من الخصوصية متأتية من خصوصية مفهوم العلاقات العامة والموضوعات التي تتناولها وكذلك من خصوصية المشكلات التي تعمل على ايجاد الحلول لها ، ومن هذا المنطلق فقد برزت الحاجة الى بناء تصميم منهجي للبحوث الكيفية في العلاقات العامة له سماته الخاصة ويمكن الاعتماد عليه كدليلاً في مجال بحوث العلاقات العامة ، وعلى النحو الآتي :

المرحلة الاولى : تصميم البحث

وتتضمن هذه المرحلة عدداً من الخطوات الفرعية التي من شأنها تحديد مسارات البحث وإعطاؤه شكله الخاص ، وهي :

• تحديد الموضوع : ان تحديد موضوع البحث امر ضروري لان طبيعة الموضوعات هي التي تحدد طبيعة البحث وفيما اذا سيلجأ الباحث الى البحث الكيفي ام لا ، فبعض البحوث تتطلب عملية اتمامها وايجاد العلاقة بين متغيراتها الحصول على معلومات دقيقة وعميقة ناتجة عن تفاعل منظم بين الباحث والمبحوثين ، ولذلك فان اللجوء الى فلسفة البحث الكيفي ضرورة لا يمكن تجاوزها .

وفي العلاقات العامة فان اكثر الموضوعات ــ عدا التي تتعلق بدراسة الجمهور الخارجي ــ بحاجة الى توظيف طرائق البحث الكيفي للحصول على كم كبير من المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها في وضع الحلول المناسبة للمشكلات المدروسة ، ومن هنا فلابد من تقسيم موضوعات العلاقات العامة وفقا لطبيعتها الى موضوعات بحاجة الى البحث الكيفي واخرى الى البحث الكمي لتكون عملية توظيف الاساليب الكيفية والكمية في عملية البحث قائمة على اسس علمية وحاجات بحثية ومنهجية واضحة .

• تحديد مشكلة الدراسة : بعد تحديد موضوع البحث واتخاذ القرار باتباع الطريقة الكيفية يبدأ الباحث بصياغة مشكلة الدراسة بشكل واضح ودقيق ليتسنى له في ضوء ذلك اتخاذ العديد من القرارات البحثية اللاحقة التي من شأنها ايجاد الحلول لهذه المشكلة ، وذلك لن يتحقق الا اذا كانت مشكلة البحث مصاغة بطريقة علمية لا تحتاج الى تفسير ولا تقبل التأويل .

• تحديد اهداف الدراسة : يتسم البحث العلمي بانه نشاط هادف ولذلك لابد من وضع اهداف البحث بطريقة محددة وواضحة وان تكون قابلة للتحقيق وقابلة للقياس ايضا ليتمكن الباحث من تحقيقها .

• مراجعة الدراسات السابقة : ان مراجعة الدراسات السابقة مهمة في عملية البحث العلمي بهدف الاطلاع على ما انجزه الباحثون في الميدان ، ولكن طريقة التعامل مع الدراسات السابقة في البحوث الكيفية تختلف عنها في البحوث الكمية ، لان الاولى لا تهدف الى تعميم نتائجها وتعمل على دراسة موضوعات او مشكلات لها خصوصيتها ، ولذلك فان الباحث في لجوئه الى الادبيات السابقة انما يهدف الى الاستفادة من طرائق التصميم المنهجي للبحث .

المرحلة الثانية : خطة البحث

بعد وضع التصميمات الأساسية التي رسمت ملامح البحث الكيفي تأتي مرحلة وضع خطة البحث التي تتضمن تحديد اهم الخطوات التي يستند عليها الباحث في تنفيذ البحث وهي :

• تحديد استراتيجية المعاينة : ويتضمن ذلك تحديد الطريقة التي سيتبعها الباحث في التعامل مع المادة موضوع الدراسة ، وهناك طريقتان هما البحث التفاعلي والذي يتضمن تحديد عينة ما لأجل دراستها ، والبحث غير التفاعلي (التحليلي) الذي يتضمن تحديد وثائق او مصادر معينة واخضاعها للتحليل (تحليل كيفي) ، كذلك تتضمن استراتيجية المعاينة تحديد نوع العينة التي سيلجأ اليها الباحث وهي في العادة عينات غير احتمالية (عينات الفروق القصوى ، العينات الشبكية ، عينات نمط الحالة ، الحصر الشامل) .

• تحديد ادوات جمع البيانات : تعتمد البحوث الكيفية على مجموعة من الادوات في جمع البيانات يستطيع الباحث عن طريقها الوصول الى المعلومات التي تحقق اهداف البحث ، ومن ابرز هذه الادوات هي الملاحظة والمقابلة والمجموعات البؤرية والاساليب الاسقاطية ونظام الفحص الوثائقي .

• موثوقية البحث الكيفي : على الرغم من ان البحوث الكيفية قائمة على فكرة المرونة في التصميم وقابلية التعديل والاضافة في اثناء تنفيذ البحث ، الا ان الصدق والثبات فيها لا يقل اهمية عنه في البحث الكمي ، الا ان البحوث الكيفية تستخدم طرقا مميزة ودقيقة لحساب موثوقية البحث اهمها اعتماد اكثر من اداة لجمع البيانات والاعتماد على اكثر من نظرية في عملية البحث بهدف الحصول على تفسير اكثر شمولا وعمقا فضلا عن اعطاء المبحوثين فرصة لمراجعة ما كتبه الباحث والتأكد من انه كتب ما يقصدون .

المرحلة الثالثة : تحليل البيانات وكتابة تقرير البحث

• تحليل البيانات وتفسيرها : ان استخدام تقنيات البحث الكيفي توفر للباحث كمية كبيرة من البيانات اثناء الدراسة الى الحد الذي يمكن معه القول ان عملية تنظيمها وتحليلها يشكل تحديا كبيرا للباحث . وفي البحث الكيفي ـــ على عكس النهج الكمي ـــ فان تحليل البيانات يتم مبكرا اثناء عملية الجمع ويستمر طيلة البحث وهذا ما يعطي الباحث امكانية استشعار كفاءة البيانات المتحصلة ومدى قدرتها على تحقيق اهداف البحث والاجابة عن تساؤلاته او التحقق من فرضياته ، ليتخذ في ضوء ذلك القرار بالاكتفاء بهذه المعلومات ام ان هناك حاجة الى البحث عن بعض المعلومات التي تخص جوانب معينة من البحث لم تغطيها المعلومات التي لدى الباحث .

وان البيانات المتحصلة في البحث الكيفي تخضع لعملية تحليل وتفسير دقيقة وعميقة وتفصيلية قائمة على الوصف وصولا الى نتائج دقيقة .

• كتابة تقرير البحث (الشكل النهائي للبحث) : في نهاية المطاف على الباحث ان يعطي للبحث شكله النهائي عن طريق كتابة تقرير البحث التي تعد عملية معقدة نوعا ما اذا ما قورنت بالبحث الكمي ، فمن الصعب تكثيف البيانات الكيفية في جداول عددية ورسوم بيانية ، اذ تأتي البيانات

الكيفية في شكل جمل او اقتباسات مطولة ، او فقرات من الوصف ، او حتى صور ورسوم تخطيطية .

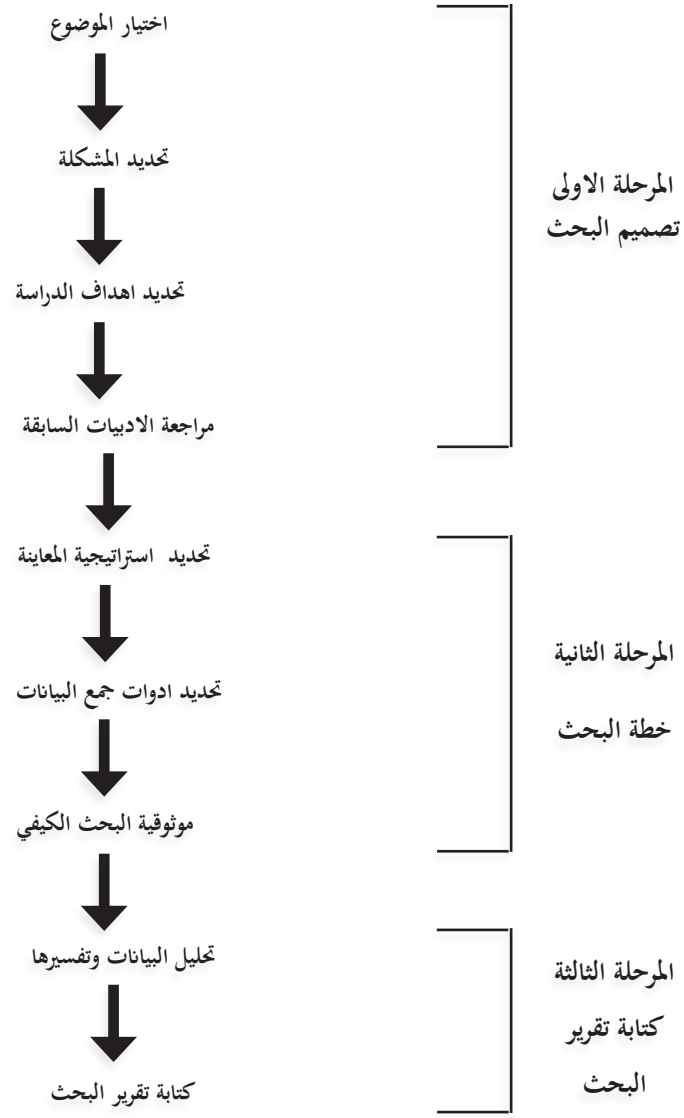

شكل (١) يبين التصميم المنهجي للبحوث الكيفية في العلاقات العامة

استنتاجات الدراسة

بناءً على نتائج الجانب الميداني للدراسة يمكن التوصل الى الاستنتاجات الاتية :

١. هناك اهتمام كبير في بحوث العلاقات العامة يتمثل في الزيادة الواضحة والكبيرة في عددها اذ تشير النتائج الى ان ما يزيد على ٤٠٪ منها نُفذ خلال الخمس سنوات الأخيرة فقط .

٢. لم يولِ الباحثون في مجال العلاقات العامة في العراق اهتماما بأساليب البحث الكيفي والدليل على ذلك ان ١,٢٪ فقط من بحوث العلاقات العامة استخدمت الطرق الكيفية ، بينما ٩٨,٨ ٪ من البحوث كانت كمية وهذا يؤشر اختلالا كبيرا جدا لصالح المناهج الكمية يؤثر بطبيعة الحال على مسيرة البحث في العلاقات العامة وطبيعة النتائج التي يتم التوصل اليها لان كثيراً من بحوث العلاقات العامة التي تقتضي طبيعتها ان تكون كيفية دُرست بطرائق كمية .

٣. لم يستخدم من مناهج البحث الكيفي سوى دراسة الحالة في بحثين اثنين ، أما بقية البحوث فقد طغى عليها استخدام المنهج المسحي ولم تستخدم المناهج الكمية الأخرى مثل المنهج المقارن والمنهج التاريخي إلا في حالات محدودة جدا .

٤. على الرغم من إمكانية استخدام أدوات كيفية لجمع البيانات حتى مع البحوث الكمية الا اننا نجد ميلا واضحا الى استخدام ادوات كمية في جمع البيانات في اغلب بحوث العلاقات العامة وهذا ينعكس بدوره على نوع النتائج التي يتم التوصل اليها من حيث عمقها ودقتها.

٥. إن معظم بحوث العلاقات العامة اعتمدت على دراسة المبحوثين بطريقة المعاينة او نظام الحصر الشامل ، بينما لم نجد سوى ثلث البحوث تقريبا اعتمدت على طريقة تحليل المحتوى على الرغم من ان الكثير من بحوث العلاقات العامة تحتاج من الناحية المنهجية إلى اعتماد آلية التحليل للوصول الى نتائج دقيقة .

٦. لم نجد أياً من بحوث العلاقات العامة قد طور نظرية علمية أثناء البحث ، وهذا أمر متوقع لان بحوث العلاقات العامة في العراق كمية بامتياز ، الا ان الغريب في الامر ان تلك البحوث الكمية لم تعتمد على نظرية علمية على الرغم من انها قائمة على فكرة الاستنباط .

المصادر (setondnE)

(1) روجر ويمر ، جوزيف دومينيك ، مدخل الى مناهج البحث الاعلامي ، ترجمة صالح ابو اصبع ، فاروق منصور ((بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠١٣)) ص٢١٠

(٢) عبد القادر عبدالله عرابي ، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية ((دمشق : دار الفكر ، ٢٠٠٧)) ص٤١

(٣) محمد عبد العال النعيمي واخرون ، طرق ومناهج البحث العلمي ((عمان : دار الوراق للنشر والتوزيع ب ت)) ص٢٧٣

(٤) عبد القادر عبدالله عرابي ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٣-٤٤

(5) المصدر نفسه ، ص٤٩

(6) محمد عبد العال النعيمي واخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٧٤

(٧) فريد كامل ابو زينة واخرون ، مناهج البحث العلمي طرق البحث النوعي ط٢ ((عمان : دار المسيرة ، ٢٠٠٧)) ص٣٩

(٨) صلاح مراد ، فوزية هادي ، طرائق البحث العلمي وتصميماتها واجراءاتها ((القاهرة : دار الكتاب الحديث ، ٢٠١٢)) ص٥٤٨-٥٤٩

(9) سمير محمد حسين ، بحوث الاعلام ((القاهرة : عالم الكتب ، ٢٠٠٦)) ص١٦١

(10) بركات عبدالعزيز ، مناهج البحث الاعلامي ((القاهرة : دار الكتاب الحديث ، ٢٠١١)) ص٤٩٤

(11) صلاح مراد ، فوزية هادي ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٥٨

(١٢) عامر قنديلجي وايمان السامرائي ، البحث العلمي الكمي والنوعي ((عمان : دار اليازوري ، ٢٠٠٩)) ص١٤٧

(١٣) شيماء ذو الفقار زغيب ، مناهج البحث والاستخدامات الاحصائية في الدراسات الاعلامية ((القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٩)) ص١٩١

(١٤) محمد فتحي عبد الهادي ، البحث ومناهجه في علم المكتبات والمعلومات ، ط٣ (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٩) ص١٦٧

(١٥) محسن علي عطية ، البحث العلمي في التربية ((عمان : دار المناهج للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠)) ص٢٢٩

(16) المصدر نفسه ، ص٢٢١ .

(17) حسين محمد حسنين ، أسلوب المجموعة البؤرية ((عمان : مطبعة مجدلاوي ، ٢٠٠٢)) ص ٩٠ .

(18) شيماء ذو الفقار زغيب ، مصدر سبق ذكره ، ص٢١٨

(19) عامر قنديلجي وايمان السامرائي ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٢٥

(20) المصدر نفسه ، ص٥٨

(21) محمد عبد العال النعيمي واخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٧٨-٢٧٩

(22) فريد كامل ابو زينة واخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٢

(23) عبد القادر عبدالله عرابي ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٤

(24) عامر قنديلجي وايمان السامرائي ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٧٨ـ٢٧٩

(25) روجر ويمر ، جوزيف دومينيك ، مصدر سبق ذكره ، ص٢١٥-٢١٦

(26) بركات عبدالعزيز ، مصدر سبق ذكره ، ص٥١٥

(27) روجر ويمر ، جوزيف دومينيك ، مصدر سبق ذكره ، ص٧١٦